

الكتاب والثقافة في ليبيا

محمد بن مسعود رئيس اللجنة الليبية

لهمة موسوعة المغرب العربي

والحبوب الغذائية وأشجار الفواكه والخضروات واللحافاء والاغنام والابل والبقر والدواجن ، وأما الثروة الطبيعية فأهمها البترول والأسماك وملح الطعام والأملاح الكيميائية (النطرون) وخامات الحديد والفوسفاط .

وقدت فيها أخيراً حركة كبيرة للتصنيع الآلي وأفراة الانتاج ، لطلبات الأسماك والفواكه والخضروات والوقود (الكريبت)، وأوعية الدقيق وتخرج الأوانى المعدنية ونسج الأقمشة على اختلاف أنواعها .

والزائر للبيبة الآن ، يجد فيها كل ما تراه العين في المغرب ، من مظاهر الحضارة الحديثة والقديمة ومن مظاهر التقاليد الإسلامية والأفريقية .

وتاريخ Libya مكتظ بالحوادث الجسام ومعالم الفخر والمجد ، لذلك من العسير على بل ومن الظلم له ، أن تأتكم عنه بلمحات مشرقة في بضم دقات ، اذ ليس لدينا جيماً فسحة من الوقت للاستماع الي في محاضرة خاصة أو محاضرتين ، وما يخف عن هذا العبه التقليل أتنا جتنا لمعرض الكتاب بنماذج من مؤلفاته التي اشتغلت عليه اجمالاً وتفصيلاً ، ومن هذه مثلاً «تاريخ Libya العام » في جزئين كبيرين .

وغایة ما يمكنني ايجازه من لمحات هذا التاريخ ، أنه استناداً على الاكتشافات الأثرية التي وجدت عندنا بفزان وجبل العوينات ، وما عثرت عليه أخيراً سنة ١٩٦٢ م. بعثة (فابريلوكوري) الحكومية ، وغير ذلك من النقوش الفرعونية وروايات أبي التاريخ (هيرودوت الغريقي) ، نستطيع القول مما تقدمت الاشارة اليه ان الليبيين القدماء وجدوا بهذه الأرض منذ العصور

الى الاستاذ محمد بن مسعود رئيس اللجنة الليبية لهيئة موسوعة المغرب العربي ومندوب الملكة الليبية في موسم الكتاب العربي محاضرة في هذا الاطار جاء فيها :

ان Libya التي يربطها بالمغرب ، التاريخ المشابه والتربية المتماثلة واتحاد اللغة والدين والعادات يحدوها شرقاً مصر ، وشمالاً البحر الابيض المتوسط وغرباً تونس والجزائر ، وجنوباً التيجر والتشاد والسودان ، وبيلغ عدد نفوسها نحو المليون ونصف المليون نسمة .

وتتكون من ثلاثة أقاليم ، وهي طرابلس وبرقة وفزان وأكبر مدنها النابضة بالحيوية الاجتماعية والاقتصادية طرابلس وبنغازي ومصراته وسبها والبيضاء ، وأهم مدنها الاثرية لبدة وشحات وصبراته وجرما .

وتكتسي السهول الخصبة شمالاً ، في الاراضي التقارير الى ساحل البحر ، وفي وادي الشاطئ ، والأجال بفزان وبهذه المناطق الزراعية ، تزدهم المدن والقرى ويزداد النشاط العماني والتجاري .

وفي برقة مرتفع عظيم ، مغطى بالأشجار الطبيعية، يسمى الجبل الأخضر وفيه كثير من الينابيع الجارية بالماء العذب، أشهرها نبع درنة وعيون مارة وفي طرابلس مرتفع آخر يقال له الجبل الغربي ، ويمتاز عن الجبل الأخضر بكونه عامراً بالسكان والفلاحة الشتوية على الأمطار وأشجار الزيتون وكروم العنب والتين ، ومن هذه الشهيرة غريان ويفرن وجاد وثالوت .

وأهم ثروة زراعية لليبيا ، الزيتون والنخيل

وادي النيل المعروف باسم « الدلتا » ، واستولوا عليه بعد معارك دموية مع أهاليه .

ثم انسوا في هذا الجزء ذولة لبيبة ، دامت مائتين وعشرين سنة وينوا هناك عاصمة جديدة وهي مدينة « بسطة » ، وكان من أشهر الملوك الليبيين بمصر ششنت الأول ، واتسعت فتوحاته شرقا الى فلسطين ، وجنوبا الى بلاد النوبة .

وبعد ششنت تنازع الملوك الليبيون بمصر على السلطة ، فكان كل واحد منهم يريدهما لنفسه ، وصاروا لهذه الاسباب يقاتلون بعضهم بعضا ، وسادت أحوال وادي النيل بعد ازدماره أيام ششنت ، لعدم اهتمام اخلاقه بصالح الناس ، فكرهم المصريون وتحالفوا ضدّهم مع جيرانهم (النوبيين) ثم حارب الطرفان الليبيين الى أن تغلبوا عليهم ، وأزالوا دولتهم من وادي النيل سنة 725 بعد الميلاد .

(4) وعلى اثر انتهاء الليبيين من مصر ، تعرضت بلادهم لاحتلالات أجنبية كثيرة ، اذ استولى عليها نظير الشمال الأفريقي ، كل من الاغريق والقرطاجيين والرومان والبيزنطيين .

وفي العهد الروماني بلبيبا ، ظهر من بين ابناها الأقداذ ، شخصية دائمة الصيت في التاريخ الروماني ، الا وهو الامبراطور « سبتيموس سيفاروس » ، ولد سنة 64م. بقرية مجاورة لمدينة لبدة ، وتوفي في احدى غزواته الانجليزية سنة 222 م. ويمكن ازائرى مدينة طرابلس ان ي shamدوا نصباً تمثاله أمام سوق المشير .

(5) وفي عهد الخلفاء الراشدين فتح ليبيا عمرو بن العاص سنة 23 هـ. وبذلك كانت ليبيا أسبق البلدان الغربية اتباعاً للإسلام وتحدى بلغتها، واعتباراً من قيام الدولة الأموية ، الى اواخر حكم بني حفص المتسبّبن للموحدين ، فان تاريخ ليبيا غالباً ، متّحد مع تاريخ الشمال الأفريقي في جميع هذه المراحل ، بل وحتى في تعرضاته لغزوّات الصليبيين .

(6) وفي سنة 955م. انتزع الليبي من اسباب الأتراك العثمانيون ، وفي هذا العهد نشأت فيها ، سنة 1722م. الامارة الثغرمانية ، وكانت على نمط حكم البaiات بتونس والدايات بالجزائر ، وامتد نفوذها ، أيام يوسف باشا القره مانيلي الى « بربنو » بأفريقيا الغربية.

الحجرية ، وفي العصور التالية لها كانت لهم حضارة زاهرة ، ونابعة من صميم بيئتهم ، ومن مظاهرها انهم :

١ - بنوا المنازل وشيدوا القرى واشتغلوا بالزراعة .
٢ - تعاطوا التجارة وصنعوا باتقان الاشياء الفخارية .

٣ - استعمل امراوهم الأواني من الذهب والفضة .

٤ - جعلوا لغتهم حروف كتابة وهي التي اشتهرت في التاريخ السحيق للشمال الأفريقي باسم « الخط الليبي القديم » .

٥ - كان لهم حكومات وملوك ومن مؤلاء « كابور » ومرماريو وششنت .

٦ - كانت لهم فنون جميلة من رسومات الجبس والتصوير والنحت .

٧ - كانت جيوشهم مجهزة بأنواع الأسلحة القديمة والعربات الحربية ، ولها مخيمات كبيرة وصفيرية من الجلد .

(2) ومنذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد ، كان الليبيين مع جيرانهم المصريين ، اقوى صلة اجتماعية وسياسية ، وهي اللحمة التاريخية عنهم ، الجديرة بأن يؤثثها بنصيبي من الايصالح ، ففي تلك الحين كانوا كلما تعرضت لهم ليبيبا لجفاف كبير ومجاعة ، تتجه قبائلهم شرقاً الى وادي النيل الملىء بالخيرات الزراعية ، وتذهب قراءة المطرفة نحو الصحراء بغيرها بغيرها كاسحة متولية .

ولما حاربهم ملوك الفراعنة بشدة ، وعجزوا عن كف غاراتهم ، أرائهم أن يجدوا لزعائهم وبعض افرادهم معيشة ثابتة ، ففيثروا كثيراً من مؤلاء في الجيوش المصرية ، ضباطاً وجندوا مرتزقة ، ورفقوا شعوبهم الى مراثب القادة والحكام ، وتزوج الملك « خوفو » باني الهرم الأكبر باميرة ليبيبة .

(3) وعلى الرغم من هذه الصلات الاجتماعية والسياسية بين الطرفين فإن الليبيين الآخرين وهم المقيمين بارضهم ، لم يبطروا غاراتهم الاولى بمنطقة بمرور السنين زادوها عنفاً وضراوة ، واعتنوا في بعضها اختلال الامور بمصر لضعف ملوكها الفراعنة ، فجهزوا جيشاً كبيراً ، من المشاة والفرسان والفرسان والعربات الحربية ثم مجموا به سنة 945 قبل الميلاد ، على الجزء الشمالي من

نيابة عامة ، تكون بها للبلاد برلمان باسم مجلس الامة الليبية من فرعون مما الثواب والشيوخ .

نهاية الكتاب الليبي

وبعد هذه اللمحات الجملة ، لتاريخ ليبيا قديماً وحديثاً ، اتحول عنها إلى النبذة الأخرى وهي الخاصة بالكتاب الليبي .

(I) - فالكتاب بمعناه المطلق ، هو المرأة الصافية ، لحضارات الأمم الغابرة والعاصرة ، والترجم عن أمجادها وفناها ، والعرف بعلومها وأدابها .

والكتاب الليبي ، ومعنى به غير المضمون بين دفتين ، وجد منذ الغى سنة قبل الميلاد ، إن كان لغته وقتئذ حروف كتابية سجل بها أجدادنا الأولون أفكارهم ، نقشا على الحجارة بمثابة الكتاب المتعارف بیننا الآن ، وما برأت قبائل الطوارق ، بآراضي غات جنوب فزان تستعمل خط حروفة فيما بينها .

وفي عهدى الأغريق والروماني بلبيبا ، افتتح كثثير من المدارس بمدن شحات ولبدة وصبراته وغيرها ، وقد عظم فيها شأن الكتاب وتقدّم ، لما كان يتضمنه من العلوم والأداب المختلفة ، باللغتين الأغريقية واللاتينية ، ومن مدرسة لبدة وعلى كتبها تخرج الإمبراطور سفاريوس ، وأتم تحصيله العالي بروما ، حاصلاً على شهادة الحقوق .

(2) - ومن أيام العباسين إلى أواخر بنى حفص ، نجد أن الكتاب الليبي العربي كان تصنيفه في مختلف العلوم الإسلامية ، ومن لغة ونحو وحديث وتفسير وتوحيد وفقه وتاريخ وأدب وشعر ، وكان أسلوبه الانشائي نظير أمثاله من المؤلفات الأخرى السائرة في تلك العهود ، فهو إيجاز لكلام المتون وتوضيحها بالحواشي والتعليق وأما أسهام العمل أو تقصير المخل .

ولكن الكتاب الليبي في وقتنا الحاضر ، وكما سترون بالعرض من نماذجه قد تتجلى تماماً في تأليفه عن طريقة المتون والهوماش وتأثر أصحابه بأسلوب التعمير الفنى الحديث ، فاللتزموا فيه المأخذ القريب والمعنى الجلى ، هذا ولا تفوتنا الاشارة إلى أن كتابنا الدرسي كذلك تعتبره من أمثل أنواعه النهجية ، أسلوباً وأفاده وتركيزها للمعلومات المقررة وأسئلة موجهة وخرائط وصوراً .

وكان للبيبا زمن القره مائلين أسطول عظيم ، فرض الآتاوة على جميع السفن الأجنبية المارة بالبحر الأبيض المتوسط ، ومن حسنات هذه الامارة أنها جعلت اللغة العربية لسان البلاد الرسمي ، في جميع المعاملات الحكومية والدولية .

(7) وبقيت الامارة القره مائية إلى سنة ١٨٣٥ م. ثم رجعت لليبيا بعدها للحكم العثماني مرة ثانية ، ثم انتهى هذا الحكم باحتلال ايطاليا لليبيا سنة ١٩٢٢ م.

ومنذ ما وطئت أقدامها لليبيا لم يفتر أبناؤها الاشواوس ، بقيادة عاملهم الملك ادريس عن مناضلتها بالحروب الheroاء ، والثورات المسلحة العنفة الى قيام الحرب العالمية الثانية وانضمام ايطاليا فيها الى جانب المانيا ، ووجدوا في هذا الانضمام فرصة ثمينة لانتزاع وطنهم منها ، فتسارعوا من داخل ليبا وخارجها الى مصر ، مكان هجرة قائدتهم الأول وزعيمهم الابي السيد محمد ادريس السنوسى ، فتحالفوا مع الانجليز ضد ايطاليا ، ثم كونوا جيشاً فتياناً تعداده خمسة عشر ألفاً . واشتراكوا مع الانجليز بمحاربتها ، منذ سنة ١٩٤٠ م. إلى سنة ١٩٤٣ م. وفي هذه السنة الأخيرة تم لهم تحرير التراب الليبي العزيز .

(8) وبعد ذلك حاولت الأهواء الاستعمارية ، تقسيم ليبا إلى ثلاث جهات باعطاء فزان لفرنسا وطرابلس لايطاليا وبرقة لانجليز ، وقد عرفت هذه الفكرة بالمشروع الالى وبرقة لانجليز ، وقد عرفت هذه الفكرة بالمشروع الثنائى ، إذ أعده كل من وزيري خارجية بريطانيا وإيطاليا المستر بيفن والستينور سيفورزا ، ولما عارضه الوفد الليبي بهيئة الامم المتحدة معارضه شديدة صارخة ، وناصرته هناك الوفود العربية كلها ، وقامت عليه في البلاد تظاهرات خطيرة ، كادت تنفجر إلى مقاومات مسلحة اضطرت هيئة الامم إلى الغاء المشروع الثنائى ، وأصدرت يوم ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٤٩ م. قرارها التاريخي الهام وتصنه (قيام دولة ليبية ذات سيادة ، في فترة لا تتجاوز أول يناير سنة ١٩٥٢ م.) وفي يوم ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٥٢ م. أعلنت ليبا استقلالها الناجز ، بعد أن وضعت له الجمعية التأسيسية دستوراً ، أقر نظام الحكم الملكي ، وعين الملك ادريس رئيساً للدولة ، وفي أول يناير سنة ١٩٥٢ م. تسلمت الحكومة الليبية جميع المصالح الرسمية ، التي كانت تديرها حكومات الحلفاء العسكريين وفي ٩ فبراير سنة ١٩٥٢ م. أجريت في ليبا أول انتخابات

نهضة ليبيا الثقافية

أ - الثقافة التربوية

قائمة على رسالة الجامعة الدينية . كما أن هذه الجامعة ينتسب إليها : الكثير من طلاب الشعوب الإسلامية ، ومن هؤلاء مثلاً طلاب من عمان والجنوب العربي ، وغرب أفريقيا ، ويدرسون ويطعمون بالمجان .

(5) - وقامت ليبيا باعمال باهرة لصيانة آثارها الخالدة ، وللكشف عن الذي لا يزال منها تحت الترى تاصدة بذلك أن تفتح مجالات ثقافية أخرى لتعريف جيلها الحاضر والمستقبل ، بتراثه الحضاري العظيم ومفاخر اجداده وأبائه ، كما يوجد في البلاد طائفة من الماحف الأثرية ، أهمها متحف القلعة بطرابلس ومتحف صبرانة ومتحف شحات ومتحف جرما .

ب - الثقافة الأدبية

(1) وقد أنتج الكتاب والأدباء الليبيون ، عشرات من المؤلفات القيمة ، في التاريخ والجغرافية والتخصص والتمثيل المسرحي والقانون والموسيقى واللغة والشعر ، والعلوم الاجتماعية والزراعة وفي كتب التربية المدرسية ، وبعض هذه المؤلفات باللغة الإنجليزية والإيطالية .

(2) - وبلا مبالغة نستطيع القول أن هذا الانتاج الفكري في جملته ، بلغ من الاجادة في التعبير وسلامة النون وفادة البحث والاخراج الفني ، ما يجعله يرتفع إلى مصاف أنواعه في البلدان العربية .

غير أنه لحداثة كثير من هؤلاء الأدباء في الحياة العلمية الجديدة ، فإن قيمة انتاجهم الفكري ، لم تصل بعد إلى المستوى العلمي الخصب الذي عهدناه في كتب عباس محمود العقاد وعلال الفاسي مثلاً .

(3) - وما ينبغي أن نشير إليه بهذه المناسبة ، أن الحكومة الليبية قد اتجهت إلى باكورة هذه النهضة الأدبية بالتشجيع الكبير ، فجعلت لها جوائز مالية مغربية ، تمنحها بوساطة لجان رسمية خاصة بها ، لنبغاء الفكر الليبيين ، الذين يتوجون أي مؤلف ممتاز بابحاثه الثقافية ، أو يترجمونه عن اللغات الأجنبية شريطة أن يكون ذا طابع شخصي لصاحبها ، وله صلة وثيقة بمعالم الحياة الليبية .

(4) - ومن العوامل الأخرى للنهضة الثقافية ، أنه يوجد في البلاد عدة دور للكتب ، على اختلاف أحجامها وموضوعاتها وحدائقها وقدمها . وتشتمل هذه الدور على

ويفصل توجيهات عامل ليبيا العظيم ، سارت حكومتنا خطوات واسعةishi في جميع الميادين الثقافية المتقدمة ، ولو شئنا ماعننا أن ننفي الكلام حقه عن جميع ما يدرج ، تحت كلمة نهضة ليبيا الثقافية ، أحوجنا الأمر إلى كتاب خاص بها ، لا إلى صفحات قليلة موجزة .

(I) - فحين خرج الاستعمار من ليبيا ، لم يترك فيها غير (50) مدرسة ابتدائية اسمها وأولية حقيقة يتربى عليها نحو (3500) تلميذ ، ويقوم بالتدريس لهم من الليبيين نحو (300) معلم ، ولم يكن من بينها في ذلك الحين ولو مدرسة واحدة اعدادية .

(2) - أما في هذه السنة المدرسية (64-65) ، (وارجو لا تنسوا تعداد ليبيا الضئيل بالنفوس) فقد ارتفعت أعمال الحياة الثقافية في قطاعات التربية والتعليم إلى :

أ - (732) مدرسة ابتدائية للذكور والإناث ، عدد تلاميذها وتلاميذاتها (552) 168 .

ب - 103 مدارس اعدادية فيها (927) طالباً وطالبة .

ج - (28) مدرسة ثانوية تضم بين جدرانها (4) طالباً وطالبة .

د - ثم (7) معاهد للمعلمين والمعلمات ، تشتمل على (224) طالباً وطالبة .

ه - ومن غير ما تقدم ذكره ، ففي ليبيا أيضاً طائفة من المدارس الفنية والمهنية ، وهي : (5) للتجارة والهندسة و (3) صناعية و (3) زراعية .

(3) - وتوالت رؤوسها كلها بالجامعة الليبية ، التي تضم (5) كليات للحقوق والتجارة والآداب والعلوم والهندسة .

(4) - ثم جامعة السيد محمد بن علي السنوسى ، التي أمر بتأسيسها السيد ادريس ، ملك ليبيا ، احياء وتخلidia لنكرى جده العظيم التي تحمل اسمه ، وهي تشمل عدداً من الكليات في الشريعة واللغة وأصول الدين ، ولها في أنحاء ليبيا معاهد ابتدائية وثانوية ، ومنamongها

وشرع ب هذه اللجنة تعلم بنشاط ، لاثارة النبوغ الكامن
بأنهان الشباب الموهوب المثقف ، في نواحي الرسم
والتصوير والتمثيل المسرحي وغير ذلك .

(2) - ولليبيا الآن فرقة فنية استعراضية للرقص
الشعبي المعروف باسم « فولكلور » تشرف عليها وزارة
الأنباء والارشاد وهي على نعط أمثالها من فرق المغرب
وتونس ومصر ، وقد أحرزت استعراضاتها الرائعة اعجاب
كل من شاهدتها من الأجانب .

(2) - ومن المشروعات الهامة في هذه المجالات الفنية
ان الحكومة وافقت أخيرا على انشاء معهد للموسيقى ،
ليعزز قيام هذه الفرقة ، وينمي في المجتمع الشعبي الانواع
والاحاسيس الوجدانية .

نفس المؤلفات والمخطوطات والوثائق والمستندات الهامة .
ومن اكبرها مكتبة الأوقاف ومكتبة الحكومة ودار
المحفوظات بمدينة طرابلس ، ثم مكتبات يتفاني والبيضا
وسبيها ، والمكتبات الفرعية بمحافظات الليبية .

ج - ثقافة الاعلام والفنون

(I) - وتعتبر وسائل الاعلام ايضا ، وهي الصحافة
والاذاعة والفنون الشعبية ، من ابرز المظاهر الثقافية في
ليبيا ، وفيها الآن ثلاث جرائد يومية وعشرة أسبوعية
وطائفة من المجلات الراقية بابحاثها وصورها الملونة ،
وزيادة على هذا فإن وزارة الأنباء والارشاد الليبي أوجدت
منذ السنة الماضية لجنة عليا لرعاية الفنون والآداب ،